على هامش « الحادث » :

# دفاع عن الأدب

## الأستاذ على الطنطاوى

لقد كانت معركة ( عين جالوت ) مثلا ، أجل خطراً ، وأعظم أثراً ، وأبرك على الحضارة ، وأجدى على الإنسانية ، من موقعة ( الحدث ) ، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذى ينهض بها ، ويرفعها بيمينه يلوح بها فى طريق التاريخ ، ليراها الناس أبداً ، أمة بعد أمة ، وجيلا عقب جيل ، كما صنع المتنبي بموقعة (الحدث) حين فتح لها فى الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة فى بلاد الروم ، وبنى لها فى البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحمدانى ( فأعلى والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حوله متلاطم )، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة ، فكان من معجزات الشعر ( وإن فى الشعر لإعجازاً ) أن خلدت هذه الموقعة ، وجلت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب ، ونسيت مواقع أعظم منها ، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود .

ولقد كان فتح عمورية عظيما فى الفتوح ، ولكن فتح حبيب فى بائيته أعظم منه . ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم فى طروادة ، ولولاه لضاعت فى ظلام ما قبل التاريخ . وإنى لأكرم القراء أن أسىء بهم ظنى فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة ، وإقامة البينات ، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه ، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات ، ولا ذكرت البطولات . ورب قصيدة تحيش بها نفس شاعر منكر مجهول ، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه ، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء . وربما جاء زمان نسى الناس فيه الأمير نفسه ، ففاض فى هذا النهر البشرى الذى يجرى أبداً من المهد إلى اللحد ، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدرى بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يحسه من الخلود إلا النفحة التى ينفحه بها الشاعر .

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوى السلطان منا ، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه ، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون . وها هو ذا حادث الشام القريب ، أحبوا أن يدونوا تاريخه ، ويعرفوا صوره ، ويعرفوا به البعيد النائى ، ويذكروا به القريب الرائى ، فأجمعوا أمرهم على إخراج ( الكتاب الأسود ) فى وصف هذا الحادث ، وسموا له رجالا ، طيبين ممتازين ، غير أنهم ليسوا من ذوى الأقلام ، ولا من الأدباء ، وإن فى دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً ، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت ، فالام تدخر هذه الأقلام إن لم تستل فى هذا اليوم الأسود ؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث ( الحادث ) إذا أهملت هذه الأقلام ، ونسيت وتركت تصدأ فى أغمادها ؟ أيعرضه صحفى بمقالة تعيش ما عاش ( العدد ) الذى تنشر فيه ، أم موظف بتقرير أسلوبه لعنة للبلاغة فى علمائها ؟

والمدنية ، ولا خشية التاريخ وحكمه ، ولا حرصاً على المهد وتمسكا بالشرف ، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم ، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره ، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم .

أيها الأسيان ! تذكروا أن الجشع الاستعمارى الذى يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادى الذى أصيبت به أوربا ، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضى عليكم ، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفعى الذى سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه . تذكروا أن القدر قد يلقى عليكم درساً عاجلا فى احترام الحقوق والحريات ، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدى العرب ، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ؟

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً في عمر الشام، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى في وادي النسيان؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولي الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق؟ أهل البلاغة، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم، ولو دعوا أديباً لصنع لهم مقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذي أعدوه.

وفي كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقي ولا رعاية فتجف وتموت. وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وبسقت فلا يبكي عليها أحد. وتزهر أقلام ثم تؤتي أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن؟ يا ويحكم! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً.

قال لي أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضي البنان:

«لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث، وأن أجول خلال الحرائق، وألج البرلمان، فمنعني جنود لا يعرفونني ولا يفهمون عني بلساني، ولو تركت ألج ورأيت بعيني ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكي المحب ليلة الوصال، والعروس ليلة الزفاف، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام. ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة، وللقلوب خمراً تميلها طربا، ولهذا الجيش جيشا آخر. ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الثكنة الحميدية لكتبت غير ما كان نشر في الرسالة(١)، لأن الذي يتخيل ويكتب بارد الدم هادئ الأعصاب، غير الذي تمشي الكهرباء في أعصابه فتهزها هزاً، فيمسك قلمه ويدع روحه تملي عليه.

ولست — علم الله — أريد مالاً من أولي الأمر أو عطاء، ولا أبتغي من مجالستهم شرفاً، فعندي من المال ما يسد حاجتي، ومن الشرف ما يكفيني، وإنما آسف على قوة فيّ، وفي أمثالي من حملة الأقلام، تذهب هدراً، وتضمحل، والوطن يحتاج إليها، وهي تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال بغيرها» ... انتهى كلامه.

* * *

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم محتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود، وليفيضوا على أمجادكم الحياة. أما هم فلا يحتاجون إليكم، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا، وينشئوا عالماً، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا، إن تكن من الوهم، فرب وهم أفعل في نفس صاحبه من الحقيقة، وأثبت من الواقع. ورب شخص (روائي) خرج من خيال أديب، أحيا حياة، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم، أسمعتم بعطيل ودون جوان وآرياجون؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب، لا عن الأدباء، فاقبلوه أو لا تقبلوه، إنما علينا أن نقول، وقد قلنا.

**علي الطنطاوي**

ظهر حديثاً كتاب:

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة
وثمنه ١٥ قرشاً

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤.